Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 22:1 (1987

آراء القراء الكرام

الأزمة الفكرية المدمرة فى الامة الاسلامية

والمتلاعبون بالاسلام

د . عبدالله سلامة نصر

اذا قال الله ، فلا أحد يستطيع الرد، وكلمة الله دائما هى العليا، ويجب على المسلمين السمع والطاعة، من منطلق الايمان بأنه لا حكم الا لله ، فحكمة عدل لا يشو به ظلم، وحق لايخالطه باطل، (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

فاذا بحثنا عن الرأى السديد، والحل السليم فى قضية من القضايا، فما أسعدنا بحكم الله . يغنينا ذلك عن آراء البشر التى يعتورها النقص والتغيير، فما نرضاه اليوم، لانوافق عليه غدا ، وهذا مانشاهده من تغيرات متلاحقه فى القوانين الأرضية .

وما تتمناه المجتمعات من الانتصار أو الرفاهية والعزة ، كل ذلك كفله الاسلام، والمقام لايتسع للتفصيل، فالنصر والبركة من ثمار الايمان . وكذا وحدة المسلمين سماها الله ايمانا ، وسمى نقيضها كفرا ... يقول سبحانه: (يا آيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يرد وكم بعد ايمانكم كافرين) أى بعد وحدتكم متفرقين .

ويكاد القلب يتفتت غما وهما لواقع المسلمين اليوم، تمزق ... تفرق ضياع، أمور كلها تدعو الى الحسرة والندامة، كنا أقوياء بايماننا

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

ووحدتنا فأصبحنا ينطبق علينا قول الله سبحانه ((وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) (سورة الفرقان)

نرى الآن نماذج من خلق الله لهم وجوه وأسماء المسلمين و ألسنة المسلمين، ويتجهون للقبلة، ويرددون كلمات الآذان ، ويسمعون ويقرأون آيات القرآن، وعند تطبيقها ينظر بعضهم الى بعض ، أيسمح حزبهم بالاستجابة لله أم لا ؟ لقد أخذوا زعماءهم أربابا من دون الله، واحتدم الصراع ... بين الأحزاب وغاب الأغلب فى غياهب السجون . لأنهم ربما طالبوا بحكم الله أو وقفوا بجانب الحق، وقامت دعاوى الخائضون تزعم أن هناله فرقا بين المذاهب الاسلامية لدرجة أنهم وصلوا الى تكفير بعضهم والذين لايتبعون هذا المذهب، وأتى المفكرون منهم، يؤولون القرآن و الأحاديث كل حسب هواه، وأمور ونظريات فكرية لاعلاقة لها بكتاب الله، يهدفون الى تمزيق الأمة وبخاصة فى اعتقاداتهم، وأغفلوا تماما السنة النبوية، مدعين أن الحديث الشريف تداخل فيه الكثير من الاسرا ئيليات والتحريف، وتصوروا عدم صلاحيتها للتشريع، وتفافلوا أيضا الاجماع ومصلحة الجماعة، يبغون بذلک اثارة الا راجيف حول الاسلام، بدون حجة وعموا تماما عن محاسن الاسلام، التى لم تقتصر دعوته على أمة ولازمن معينين ... ومضى خمسة عشر قرنا والقرآن مايزال كعهدنا به، لم تستطع يد التحريف أن تمتد اليه، وأمرنا بأن نقتدى بالرسول فى كل شى، قولا وعملا وتقريرا ـ وحدد لنا العلماء مصادر التشريع التى طبقها اللرسول صلى الله عليه وسلم : ـ

١) القرآن الكريم، (٢) السنة المباركة ، (٣) الاجماع،
(٤) مصلحة الجماعة .

فهل يمكن أن يأتى بعض الخائضين فى الاسلام بغير علم ، ليقولوا ان المصدر التشريعى للاسلام هو القرآن وحده، وأيضا لايمكن

أن يطبق لشمول قواعده العامة، التى لا ترتكز على جزئيات ووقائع ومن ثم فتأويله يخضع الى آراء متباينة ، وأفكار متناقضة . ولانريد أن نخوض مع المعاندين، بل نحيلهم الى جهابذة العلماء والمفسرين ، والكتب التى صنفوها ويسألوا ضمائرهم عن الاسلام بمنطقهم الغريب، وفهمهم القاصر لبعض قضايا الدين، انه تطرف منبوذ لتأثرهم بالحضارة والثقافة الغربية التى درسوها، وينطبق هذا على أغلب زعماء المسلمين، فما منهم الاودرس فى أوربا وأمريكا، ثم عادوا بقشور معرفة من الثقافة الاسلامية ، والقدر الكبير من الافكار الغربية السامة التى تبعد الفرد عن الدين، وأن اتباع الدين جهل وتخلف، وتناسوا طبيعة الدين الذى يقول لأصحابه : (ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيما معايش) (سورة الأعراف)، الدين الذى يقول لأتباعه ، ,,وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ،، (سورة الحديد ٢٥). ان أغلب المسلمين اليوم يعيشون فى عقم فكرى، وتخلف عقلى حضارى، وفقدوا هويتهم ومعالم صلاحهم، وبعض الدول حتى الآن عاجزة تماما عن صنع رباط الحذاء الذى يلبسونه، مع كثرة الأموال الطائلة لديهم والمكدسة فى بنوك اليهود فى سويسرا ولندن.

هَدَفُ المسلمون الآن أن يتطاحنوا مع بعضهم فقط، ووقفوا عاجزين عن صنع الصحوة الاسلامية، التى لاتتمثل فى الغيبيات التى يهرع اليها العجزة، ولم يتمكنوا من حماية عقيدتهم من الغزو الخارجى بالوسائل التى وهبهم الله اياها فى الأرض .

ويجب أن يعلم أن الحضارة الحديثة بشقيها الغربى والشرقى أحرزت تقدما هائلا خدمت به أغراضها الردئية، ولكى نكون أحق بهذا منها، يجب أن نقوم بالمثل اذا لم يكن، اكثر تقدما ، بل يجب أن نضم لهذا التقدم الخلقى قبل التقدم العلمى، فهذا يخدم مبادئنا ومثلنا العليا

كيف هذا؟ أن الأوربيين اثاروا الأرض وعمروها أكثر مما أثرناها وعمرناها وقدروا على استخراج معادنها على حين عجزنا نحن عن ذلك، وعلى هذا هم أولى بالسبق بالاضافة أيضا أننا متخلفون اداريا فى شئون الحكم ... .. ان الشورى وحقوق الانسان وكرامته وصيانة المال سمات بارزة للاسلام، فهل هى كذلك فى تصورنا السياسى؟

فمثلا : السلطان (سليم الأول) وجه جيشه ـ بغباء ـ لاحتلال مصر، والقضاء على دورها الرئيسى فى حماية الاسلام وفى الواقع ليس تصرف سديد، ولم يحتج عليه أحد من الخارج .

ومن المؤسف اليوم أن عددا من رؤساء المسلمين، لا يدرى عن الادارة الاسلامية، ولايعى الضوابط الدقيقة لحماية الدماء الاسلامية وآراء الأفراد والجماعات ... فهل مايحدث الآن بين العراق وايران ... القطران المسلمان، وما يحدث بين الفئات المتطاحنة فى لبنان، وما تفعله سوريا مع الفلسطينيين .. هل نصف هذه الجهالة التى تصر عليها تلك الدول فى سفك ..... سفك دماء الابرياء من كلا الجانبين . وضربوا بكل وساطات الصلح عرض الحائط ، ولم يستمعوا الى نصح الناصحين؟ فهل هذا صلاح فعلا يرث أصحابه أرض الله، ويطبقون فيها شرع الله ؟

وقف العجز الاسلامى المعلول فكريا ونفسيا واجتماعيا. حتى عن حماية مقدساته، وهو يعلم خصومه، ووسائل الدفاع التى يدافع بها عن نفسه لايستطيع صنعها ... فالمسلمون فى افغانستان ، يقاسون الهوان فى الزود عن بلادهم ومساجدهم، وعقائدهم، لأن الذين يبيعون لهم السلاح هم أعداؤهم . هل التخلف الكيماوى والفيزيائى، والهندسى من معالم تقوى الله ...؟ مع العلم أن الله سبحانه قال : ,,أن الأرض يرثها عبادى الصالحون،، (١٠٥ سورة الأنبياء) ان اصلاح حال المسلمين وصلاحهم أوسع بكثير من ركعات تؤدى وأيام تصام،

هناك العدل، والنظافة بكل معانيها، من وجه وثياب وبيوت وشوارع ونظافة الضمير فى العمل، أمان ضد الجوع والقلق، وكفالة الحرية.كلها أوضاع محزنة فى عصرنا الحالى، أوضاع سيئة لكن مع هذا ... من المكن أن يعودوا لمكان الصدارة، ولن تجعل اعدائهم أولى بالله منهم.

ولا يغب عـــن الاذهان أن حضارة لاتقوم على الايمان بالله فهى حضارة عمرها قصير . والحضارة التى تشقى أصحابها وغيرهم لابد وان يلحقها عقاب القدر يوما ... والأدلة على هذا ليست صعبة ... فانتاج قنبـــلة زنتها عشرون ك . ج . يساوى شراء ثلاثين طنا من الفحم الكافى لتدفئة مائة أسرة طول فصل الشتاء .

وبثمن مدمرة واحدة، ممكن بناء مستشفى على أحدث طراز بمافيه من أجهزة وآلات، ويسع مائة سرير،

وان ثمن الدبابة يعادل صنع ٥٠ جرارا زراعيـا لاعطـاء الغـذاء للملايين الذين يموتون جوعا من المجاعات ، وقيمة الطائرة المقاتلة يمكن انشـــاء ١٥ مدرسة كبيرة تسع آلاف الطلاب لتلقى العلم، وان ثمن قاذفة القنابل الواحدة يساوى ١٥٠ ألف طن من القمح لاطعام مئات الآلاف من الجياع، سيئات مدمرة فى جبين الغرب ... ولايشفع للمسلمين امام الله على ماقصروا فيه،

انهزم المسلمـون فى غزوة أحـد لأنهم لم يأخـذوا بالنصـيحة والمقدمات التى ينتج عنها النصر، ولم يكن المشركون أولى بالله منهم فالله وضع للنصر أسبابا و أوجب على عباده اتباعها، و الا فلا يلومنّ الا نفسه . وما حدث فى الاندلس وفى العصر الحديث ... الا لتراخى المسلمين الفكرى والكسل العقلى، ومع هذا يطمعون فى النصر ... فى الوقت الذى يقرأون كتاب الله سبحانه : (ان الله لا يصلـح عمـل المفسدين،،،) (.. سورة : ١٠ : ٨١) ان الغرب لم يتـرك شبـر أرض الا زرعوه، بلادهم مليئة بكل مايحتاجون ويصدرون لنا الفائض ، المدارس

اكثر من الطلاب، وأما أن نطلب منهم بناء مدارس فى العالم الثالث فهذا أمر فيه نظر . ربما يقولون : لماذا نخدم قوما لايخدمون أنفسهم، قوم ينفقون على ملذاتهم أضعاف ماينفقون على التقدم و الازدهار .

والعرب يعانون من حرب مع عدو احتلّ أرضهم المقدسة والأوضاع داخل الارض المحتله شئ يخجل منه الوصف ويخزى الحر .. بطرد العرب أسرة بعد أسرة من مدنهم وقراهم ..

عدونا أكمل صنع القنبلة الذرية ـ ونحن لم نصنع الابرة حتى الآن وسواء صح هذا أم لم يصح فهم متقدمون عنا صناعيا الى حد مخيف

و المسلمون يترنحون تحت وطأة العقيدة المهاجمة ، وهذا شئ غريب لأنهم استبعدو الاسلام بعيدا عن المعركة .

وهذا يعد ارتدادا عن الاسلام ، واذا لم يكن فهو خيانة للوطن . والمستمع الى أقوال الناس، والناظر فى أحوالهم يرى العجب،يجرون وراء مظاهر وقشور من آراء فرعية لاتضر العقيدة فى شئ . فمثلا : مازلنا نقول الجلباب القصير واللحية الطويلة والنقاب السميک ، والترويج لبعض النظريات فى فروع الفقه .

أما التفوق العلمى و الصناعى فشئ لا يعنيهم وهذه فرصة متاحة للاستعمار الثقافى كى يجهز على ديننا ويقضى على مستقبلنا .

لقد آن الأوان ليفهم المسلمون معنى قول الله سبحانه : ,,ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون . ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين ،،(١٠٥ سورة الأنبياء)

وأعتقد أنه آن الآوان اليوم قبل الغد أن يتنبه حكام المسلمين والمتناحرون والمتحاربون لأن يعوا تعاليم الاسلام، وينبذوا العداوة والبغضاء و حقن دماء شبابهم، وشعبهم ولايجرون وراء الاهواء الفردية، وحتى لايقع العالم الاسلامى كله فريسة سهلة لاعدائه الحاقدين عليه الذين رتبوا كل هذا الدمار . انه سؤال ومطلب مطروح أمام زعماء

المسلمين ... أن يتقوا الله، ويخضعوا لحـكم الله ورسوله فى حرمة الأرواح و الأموال التى تذهب الى جيوب أعداء الإسلام . أملنا فى كل الدنيا أن توقف هذه الحرب فوراً فان ماينفق فيها كفيل بأن يعيد قبلة الاسلام الأولى ويعيد الفلسطينين الى وطنهم، ويـؤازر مجـاهـدى الافغـان التى تحـارب الالحاد على أرض الاسلام، واستغل أعداء الاسلام و المسلمين هذه الحرب وقامـوا بقتل الآلاف المـؤلفة من المسلمين فى مناطق أخرى فروسـيا فى افغانستان،وهتكت اسرائيل حرمة المسجد الأقصى خمس مرات خلال هذه الفترة، وأكلت لبنان، كما دمرت المفاعل الذرى العراقى بعد أن خرقت بطائراتها أجـواء ثلاث دول مسلحة حرة ، وليس بخـاف عـلى أحـد ماحـدث فى مخيمات صبرة وشاتيلة من قتل يندى لـه جبين كل انسان ويحرق نفس كل مسلم .

كل ذلک يحدث وبلدان مسلمان يتحاربان ويدمر أحدهما الآخر، ولا ندرى لمصلحة من ؟ مليارات الدولارات يخسرها الطرفان شهريا، لو استغلت هذه الثروات فى مصالح الأمة الاسلاميه لملأ الجائعـون بطونهم، وحصل المشردون على مأوى ، وملايين المرضى حصلوا على العلاج، فنحن الذين نتلظى بنار الحرب وليس غيرنا، انها فتنة كبرى أتت لارجاع العالم الاسلامى لجاهليته الأولى .

و الآن أريد أن أدخل على الهدف من الموضوع وأضـع بعض التساؤلات الأخرى. كيف حدث لنا هذا كله؟ ولماذا؟ واذا كانت فى طريقناعقبة فماهى؟ وما هى تلک الأزمة التى يعيشها عالمنا الاسلامى ...؟

بكثرة مايقع الخلط بين الأمة والشعوب و الدول ... ننـوه الى أزمة فكرنا الدينى فى أمتنا، وأعنى أمتنا الاسلامية، من أقصى الكرة الأرضية الى أقصاها .

وأعتقد أنه لاحرج على الانسان أن ينتقد بعض أوضـاع أمتـه، فذلک واجبه وحقه، ولايهون عليه أن تمس كرامة الأمة الاسلامية من جهة أمة الكفر، وما نعانيه من مكائدهم ... والدين يجمعنا أمة واحدة بالرغم من تعدد الشعوب، واختلاف النظم (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (٩٢:سـورة الأنبياء) وأحكام البغى فى القرآن يتلوها قوله سبحانه (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .(١٠:سورة الحجرات)

ان أى حدث مؤلـم يصيب أى جزء اسلامى الاسرى فى كيان الأمـة كلها، يقول صلى الله عليه وسلم ..مثل المؤمنون فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) . البخارى ومسلم

وفى تاريخ الأديان ... ان الناس كانوا امة واحدة ، ثم تعددت الأمم بتعدد الرسل عليهم السلام، يقول الله سبحانه : ,, كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين،، . (٢١٣:سورة البقرة)

وربما تعدد فى الأمـة الواحدة شعوبها وقبائلها، كل له أصوله وأنسابه ولا تفاضـل بينها الا بالتقوى . هكذا أمر الاسلام ....

(يا أيها الناس انا خلقنا كم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبـا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) . سورة الحجرات .

وكما تتعدد الأمـم و الشعـوب تتعـدد الطـوائف أيضـا فى الأمة الواحدة، و أوردت هذا لأشير الى أن الأمة الاسلامية جميعها يربطها جميعا رباط واحد أقوى من الأمومية والشعوبية و الطوائفية .

ونتساءل عمن يجمع العراقى مع المصرى و الجزائرى و الاردنى و السعودى وغير ذلک من أجزاء الوطن الاسلامى ان الـذى يجمعنـا ويربطنا جميعا هو رباط العقيدة ووحدتها . من أجل ذلک أصبحت الأمة الاسلامية أمة واحدة ...

والناظر هذه الأيام يجد أن أمة الاسلام نسيت أو تناست ذلك، فتفككت أجزاؤ ها، واعتراها الوهن والضعف، مما تدمى له القلوب، نتيجه لتسلط بعض الزعماء والرؤساء المنحازين للغرب أو الشرق

لقد بيعت الأوطان ودمرت، وتشتت أهلها، وقامت الحروب بين الدول الاسلامية، وانتشرت العداوة، وخسروا المال و الولد نتيجة لسياسة غاشمة ، وارضاء لغرور مريض .

ضاعت الأوطان على مسمع ومرأى من الأمة الاسلامية ، وذبحت الأطفال والنساء، وهلك الشباب والرجال، ويااليت هذا مع أعداء الاسلام؟ . وكأن الامر لايعنى ... هؤلاء ... الرؤساء . وضرب الله على سمعهم .. وقلوبهم وجعل على أبصارهم غشاوة .

وتحدث هذه المعارك الطاحنة ، باسم الاسلام وتطبيق الشريعة الاسلامية ، واعتبروا أنفسهم أنبياء ورسل العصر الحديث ، والكل يدعى الاسلام، والواقع أنها نكسة رجعية وظاهرة غريبة لاعلاقة لها بالاسلام، ثم انقلبت الى تطرف دينى . (وهذا واقع فعلا فى معظم أوطاننا الاسلامية) ثورات تقوم باسم الاسلام .. ثم تنقض عهدها لمطامع دنيويه .

التهبت هذه الثورة وقامت باسم الاسلام . ثورة قوية ، وفرح المسلمون جميعا، واعتبرت من الحركات العظيمة ، التى اهتزلها العالم كله، وسلطت عليها الاضواء .

والناظر لحقيقة هذه الثورات وما أسفرت عنه الآن، ومناداتها بتطبيق الشريعة الاسلامية، وانجذب لها الشباب بصفة خاصة ، نجدها هى المصدرة الأولى للتطرف الدينى ... واتبعت برنامجا دينيا متطرفا باطنيا. وليس ذلك لخدمة الاسلام انما لهدمه وتقويضه ركنا ركنا، واتبعت أحدث الوسائل الغربية لهذا الغرض .

اننا بحاجة الى تنقية الشريعة ، مما اعتراها من نغايات، كى

نستسيغ الماء ونشربه .... ان الفرصه السانحة التى انتزعها بعض الزعماء لهدم أصالة الاسلام، وتواروا خلف ماأسموه ثورة اسلامية واستغلوا ذلک ضد النظم الأخرى الفاسدة . ... جعلت الناس يخافون من الشريعة الاسلامية، ويفترضون افتراضات لاوجود لها على أرض الواقع ، وما حدث فى ايران ولبنان بين الشيعة والطوائف الأخرى يعطى صورة مشوشة للاسلام

يصور بعض الناس للعامة . . . أن الرجوع الى الاصالة الاسلامية، بعد أن جرفنا التيار الاستعمارى يعد أمرا خطيرا ورجعيا .

ولقد ألفت بعض الكتب التى تطعن وتقلل من عظمة بعض الصحابة، وذلک لأغراض سياسية بحتة ولتشويه وجه الاسلام المشرق لكن علماء الاسلام قاموا بالرد على تلک الأفكار الهدامة وأظهروا بطلانها .

ان الاسلام عقيدة وعمل، وهو ملائم لكل زمان و مكان ، ويجوز أن نقول هذا دائما ... لولا مايعترض الأمة الاسلامية أحيانا من بعض التغيرات التى تجعلها تنسى ذلک ...

وهنا تظهر الفئات التى تنادى بتطبيق الشريعة الاسلامية ، والعودة الى الاسلام وكتاب الله الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومنهج الخلفاء الراشدين كل ذلک احتوى الأسس القوية التى يمكن أن يرتكز عليها الدين فى كل حالات التطور العصرى والعلم الحديث .

يظن بعض الناس أن الاسلام دين لايساير الحياة . وهذا ظن خاطئ وافتراء على الاسلام ... وينبغى أن نفرق بين حقيقة الاسلام وبين التطبيقات التى أجريت باسم الاسلام من جهة المتطرفين، ولانعيب على الاسلام ونتهمة بالتقصير، وانما نعيب على التطبيق الخاطئ ..

نعيب زماننا والعيب فينا : وما لزماننا عيب سوانا

وانى أريد أن أقول ان بعض الجماعات الاسلاميه مأجورة ، ومغرربها . من جهة الغرب ... وهذا أمر واضح لكل ذى بصيرة متفهم، فالاستعمار الحديث رأى فيها منفذا سهلا لتحقيق مآربه و اطماعه فى ضياع الأمة الاسلامية، وتمزيق وحدتها . والماسونية تلعب دورها الذى تخطط له وتجد السذج المطيعين . و استطاعت أن تبعد الحركات الاسلامية من الروح الاصولية للاسلام ...

ومع أن صحوة الاسلام موجودة وتتمشى مع روح العصر والتقدم التكنولوجى ـ وهذا أمر طبعى ـ عندما تشتد الأزمات، ويبتعد الناس عن المثل و الاخلاق، يميل الانسان الى الروحانيات والتمسلك بها، هربا من جحيم مدنية وترف زائف، وانحطاط مريع أصاب الأمة الاسلامية فى زمنها المعاصر .

وهنا نجد من يظهر مدعيا الحمية الاسلامية ـ بذكاء مستغلا غيبة الفكر الدينى ... وهذا ما حدث فى بعض البلدان الاسلامية حيث وجد الباب مفتوحا ، وساروا على المخطط المرسوم لتدمير الاسلام، وهدم العقيدة وتشويهها ..

لقد اعطوا للغرب والشرق على حد سواء فرصة عظيمة لهدم الاسلام عامة فى بلاده، ووفروا على الماسونية مئات السنين لتنفيذ هذا المطمع ... كل مايهم الغرب أن يعطى صورة قاتمة المعالم لأى دولة اسلامية قامت ثورتها أو نظامها باسم الاسلام .

هذه الصورة المقلوبة تهدف مستقبلا بأن لايفكر أحد فى بناء دولته أو نظامه على جوهر الاسلام . وهذا الفكر المشكوك الهدف منه اضعاف الروح الاسلامية فى بلاد اسلامية كبرى، كباكستان و افغانستان والملايين من المسلمين فى الهند وفى أوروبا نفسها ...

ونجح (الغرب) فى تحقيق مآربه ـ وضرب العرب والعروبة التى هى مهبط الاسلام، والمدافعة عنه والقائمة على شئونه ... والواقع يغنى

عن التوضيح .

واستطاع الغرب بذكائه أن جعل الشباب يلتف حوله ، والشباب بطبعه سريع التأثر و الانقياد والجرى وراء كل جديد بدون التروى أحيانا، وعنده استعداد كامل لأن يبذل حياته رخيصة فى سبيل معتقده .... وهناك من الشيعة المتطرفين من يؤمن بأنه نائب الامام المنتظر وهذا مذهب من المذاهب (الباطنية) و التى تعرض لها علماء الكلام منذ أمد بعيد . ودللوا على بطلانها وبعدها عن الاسلام .

استطاع أن يستغل الشباب ويخاطبه بما يرضيه فى تحقيق طموحه وفتح لهم أبواب الجنة ... اذا استشهدوا فى سبيل هذا المطلب . واعتبر إن قتل المسلم أخاه المسلم فالمقتول يكون شهيدا، بهذا نجح فى تصدير الارهاب وموجاته المتطرفة الى كل العالم العربى وغيره واختطاف الطائرات وبلبلة خط الأمن والهدوء .

وكما أشرنا ان الشباب كثيرا ما ينخدع بالكلمات البراقة وبقشور الفكر ... ولم يدرس الدراسة الواعية لكتب بعض الكتاب المغرضين ولتفهم مافيها ومقارنتها بالآراء والمذاهب الفقهية الأخرى ... ظنا منه ان ماجاء بها هو الصحيح وما أمر به الاسلام ... وربما نلمس له العذر ، فالشعارات البراقة ، كفيلة بجذب الشباب اليها وينخدع بها فى كل البلدان الاسلامية والعربية ، ويسير خلفها صافى القلب ...

وكأنهم وجدوا فيها ضالتهم التى يبحثون عنها ، وعودة الروح الاسلامية ، لتحل ماهم فيه من عناء فكرى وفراغ دينى .

والقارئ للتاريخ ، وسبب اندلاع الثورة الفرنسيه ، ومحاربتها للدين والابتعاد الكامل عنه وفصله عن الحياة نهائيا يعرف أنه كان نتيجة للتضليل الدينى من رؤساء الكنيسة النصرانية ، وكله باسم الدين : ارهاب ، قتل ، بشاعة الأنانية والاستبداد، لدرجة الوصول الى التحكم فى حياة الفرد وموته ودخوله الجنة . قامت الثورة وشعارها،

اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس .

نفس الكارثة تتكرر الآن ... فبعد ان تصور الشباب ، وغيره ، ان أن قواد الثورات الدينية الذين يدعون للاسلام هم أنفسهم أصحاب الارهاب و القتل والتشريد .

وأزكوا نار الحرب القائمة بين المسلمين، و التى لاندرى سببا معقولا حتى الآن فى الحرب القائمة بين بعض الدول الاسلاميه ؟ ولا ندرى أيضا لمصلحة من نوجه فوهات البنادق الى صدور الأخوة والأشقاء المسلمين ويقتل بعضهم بعضا وتخرب البيوت وتشتت الأطفال ـ بدل أن توجه هذه القوى الى أعدائهم المحيطين بهم، والمنتظرين لحظة الانقضاض .. لقد ضاع اقتصاد العالم الاسلامى بأيدى المسلمين أنفسهم . والمستفيد من سفك الدماء البريئة هم الصهاينة الذين فتحوا المجال لهذه الحرب لابتلاع الباقى من اجزاء الأمة العربية و الاسلامية .

ويومها يفرح المتلاعبون بمصير شعوبهم ، وقد احتلهم الغرب مرة أخرى .

أعداء الاسلام يشعلون النار فى الهشيم ليبقى الخراب وتبقى الدول الاسلامية هى السوق الرائجة لبيع الأسلحة المتخلفة والقديمة والتى لم تعد تصلح للتكنولوجيا المتطورة ... ويضحكون بها على السذج . و الا كيف يبيع العدو لعدوه سلاحا متطورا ليقاتله به ؟ ... والمعروف أن برنامج التسلح لدى الدول الكبرى لابد أن يتغير كل ثلاث سنوات ... فهل علم المسلمون بهذا ؟

اننا سوق رائجة لبضاعة الاعداء الفاسدة لنقتل بها أنفسنا و نهتك أعراضنا ونضيع ثرواتنا ، فلمصلحة من يا مسلمون ؟

وهل دعتكم شريعتكم الاسلامية لهذا ؟

ولقد استشرت النزعة الاستبدادية عند بعض الزعماء وهدفها

احـــباط الحكومات العربية، وربما هناك سبب كبير الذى فتح أمامهم هـــذه الفرصة . هو الفراغ الكبير فى الثقافة الاسلامية لدى الجامعات الاسلامية ، من هنا انطلق الشباب وراء المغرضيـن دون ان يعـرف مبادئهم و أهدافهم، ونتيجة هذا أن اجتمعت بعض الجماعات الاسلامية الكبيرة ، و التى لها ثقل مؤثر فى مسار الاتجاهات السياسية فى المناطق المتواجدة فيها . علـى سبيـل المثـال ... نذكر جمـاعة (المودودى) وجماعة (الندوى) فى باكستان والهند، والذين اكتشفوا منهج المتلاعبين بالدين من خلال كتبهم وتصريحاتهم ، عبر أجهزة الاعلام، فبعد ماكانوا مقدرين لهذه الصحوة الاسلاميه فى بعض البلدان تراجعوا عن مساعدتها لسـوء أهدافهـا وخرجـوا بمبـــدأ عـــام : أن لاتجوز مناصرة من لاتعرف حقيقة مبادئه وأهدافه ...

ولايجوز للجماعات الاسلامية أن تتبع من يغلب المصالح السياسية على المصالح الدينية والعقائدية لأن الأصل فى الحكم الاسلامـى العقيدة ... أما بالنسبة للأحزاب والعقائد الأخرى فالأمر مختلف .

الجماعات الهدامة التى تسعى للحـكم السياسى لايقرون بالخطاء ، ويحاولون تبرير وجهات نظرهم بأنهم على صواب . وهذه هى الطامة الكبرى ومصيبة ترتكبها هذه الجماعات ، لدرجة أنه يصعب التعامل معها بعد ذلك ، ويصرون على الخطأ ونسوا حـــديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائيـن التوابـون) . والحكمة تقول (ليس من العيب أن نخطئ لكن العيب أن نتمادى فى الخطاء) .

وفى الهند وضع العالم الكبير (أبو الحسن الندوى) كتابا نقد فيه تلك الجماعات . وأنهم ماجاؤا الا ليفرقوا شمل الأمـــة الاسلامية ويضعفوا الروح العقائدية .

وما حدث فى الهند حدث فى باكستان ، على يد جماعة أبو

الاعلى المودودى فقد رجعوا عن ذلك التأييد . وكتبوا مقالات تشير بالنصح لأن يرجع هؤلاء عن منهجهم المخالف للامة الاسلامية، ونشرت هذه المقالات فى لندن وباكستان .

صعب على الانسان أن يتراجع، وبخاصة عندما يكون مسئولا كبيرا ... فهناك من القواد من أذاق أمته طعم الخراب و الدمار والهوان نتيجة الصلف والغرور، والبعد عن مبدأ الشورى، وهذا حاصل فعلا، وحتى الآن فى الاوطان الاسلامية بصفة خاصة .

انه فراغ ثقافى كبير ينتاب الجماعات الاسلامية بالاضافة الى التعصب المرير . وانى لا أبعد الدين عن السياسة فهما شطران لاينفصمان، لكن من الواجب أن لايغلب الجانب السياسى على الجانب العقائدى .

حدث هذا فى نهاية عصر الخلفاء ، وانقسم المسلمون الى شيع وأحزاب كل حزب بمالديهم فرحون. ودخلوا فى العمل السياسى، وأصبح من يدعى بأنه سنى وآخر سلفى وثالث شيعى. وذاك من الخوارج، وكانت النتيجة المريرة من دمار وتمزق حلت بالأمة الاسلامية وما زالت تعانى منها حتى الآن .

ولولا وعد الله بحفظ دينه (ان الدين عند الله الاسلام .) (وانا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .) لولا ذلك لأصبح الاسلام فى خبر كان والحمدلله مازال الاسلام قويا فتيا، ويزداد أهله يوما بعد يوم ، على الرغم ما يتعرض له أهله من محن ومصائب، فى كلّ ارجاء العالم، وما تعرضت عقيدة من العقائد بمثل ماتعرضت له العقيدة الاسلامية ... فلقد تكتلت ملة الكفر وحزبوا أمرهم على حرب الاسلام، فمنذه وفاة الرسول (ص) مباشرة وحتى الآن وهذا أمر قائم ... هزات عنيفه مباشرة وغير مباشرة .. فلم يضعف الاسلام ولم يهن ... بل نجد ان الذى أضعفه، هو: عملية الأحزاب والفرق ففى السعودية، قام المذهب

الوهابى لمحاربة البدع . ولا نقول فى هذا شيئا بل تفرعت منه آراء متعصبة غير واعية عكرت، صفو هذا المذهب، وفى العراق و ايران . البلدان المتحاربان الآن باسم الاسلام ـ وجد المذهب الشيعى والصفوى . وفى مصر المذهب السنى، ثم قامت من هذا أيضا طوائف وفرق ـ كالصوفية، والشاذليه، والهاشمية الخ ... كلها من اختراعات الانسان . وتناسوا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ستختلف أمتى الى بضع وسبعين شعبة كلها فى النار الا واحدة) البخارى .

ان الاسلام واحد فى جوهره وحقيقته (ان الدين عند الله الاسلام (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

ومن المحزن نجد القلة من هذه الفرق مثل الشيعة هى المسيطرة على أفكار الناس، بالاضافة الى تحركاتها المتطرفة عبر البلاد الاسلامية .

ويجب أن نفرق بين حقيقة هذه المذاهب ، وبين القائمين على أمرها، فقد يعتنق البعض مذهبا من المذاهب ـ ولكن الواجب علينا كمسلمين جميعا تحت أى مذهب أن لايصل بنا الأمر الى حد التطرف الطائفى البغيض، ان الطائفية التى جرت علينا الويلات والوبال مرفوضة شكلا و موضوعا فى تفكيرنا ومنهجنا الاسلامى .

وأريد أن أوضح سرا خطيرا أن المسلمين عندما فتحوا البلاد لتخليص أهلها من ظلم الحكام المستعمرين أيام الفرس والرومان ـ تركوا لأصحابها حرية العقيدة ، وهذا من سماحة الاسلام، ودخل فى الاسلام من أراد ، لاعنف ولا اجبار ... ومن المعروف أن أصحاب هذه البلاد كانوا يعتنقون مذاهب وعقائد أخرى قبل دخولهم فى الاسلام، فأخذوا يكيفون الدين الاسلامى حسب أصول عقائدهم القديمة ....

ففى ايران كان الصفويون، ثم أتى المذهب الشيعى الذى قام به

الصفويون، وفى العراق، حـــدث التشيع العلوى، وكل من الفريقين ... يريد الانتصار لمذهبه، وقامت المجازربين فرق الشيعة ... كل يدعى أنه الصواب ، وأنه هو المعتدل والمقبول واشتعلت نيران القتال، واستعر أوارها، ووقف المنافقون من بعيد يزيدونها اضراما ـ

أنها مجوسية جاهلية ، وعقائد دخيلة على الأمة الاسلامية، وصلت فى تطرفها الى حد تكفير المسلمين بعضهم بعضـا بمـا فيهم الخلفـاء الراشدين ... فقـــد كفروا أبو بكر وعمر ، وبأنه اغتصب الخلافة ...

وهذا يظهر لنا بجـــلاء مدى مستوى الفكر المتطرف النازع دائما الى الشر و القتال، واستعذاب الموت الجماعى فى سبيل الوصول الى الهدف الذى يريدونه .

وانى أتساءل ... هل مايقع الآن ومايحدث والصـورة المشاهـدة ستعيد لنا العهد الراشدى . لنعيد الأمور الى نصـابها؟ ونعيـد أمـر التحكيم بين على و معاوية؟ وهل ماتفعله الشيعة المتطرفة كل عام فى ذكرى عاشوراء، من ندب وبكاء وجلد لأنفسهم، وقتالهم مع الفرق الأخرى ... سيعيد الحسن و الحسين، ويتقلدوا منصب الخلافة؟ ... أعتقد لا ...

ان هذه الأمور المحزنة تعطى صورة قاتمـة السواد والسوء للاسلام والمسلمين أمام أعداء الاسلام، واتهامنا جميعا بأننا ذوى فكر مخبول

ولا أدرى ما الذى أصاب الأمة الاسلامية فى فكرها ؟

وتتقاتل طائفتان من المسلمين ... ويعتبرون هذا جهادا: و المعتبر أن الجهاد يكون مع عقيدة غير المسلمين .

ان الصيغة التى تتبع الآن من محاربة المسلمين لبعضهم بعيدة تماما عن الاسلام . والذى نفهمه أن الاسلام قام على الحوار العقلى و الشورى ، وفهم رأى الجانب الآخر أمـا التعصـب فهو مرفـوض أخلاقيا ودينيا واجتماعيا .

وعلى المسلمين جميعا وبخاصة أولى الألباب منهم بالدرجة الأولى أن يوضحوا المبادئ الهدامة، ويدرسوا مناهجهم دراسة واعية و الرد عليها والمجادلة بالحسنى ، بعيدا عن التعصب المغرض، ونشر هذا بين الناس .

واذا كانت دولة الظلم ساعة ، فدولة الحق الى قيام الساعة .

وفى هذا العصر نلاحظ انتشار الطوائف الدينية، والجماعات المتطرفة، نتيجة لرد الفعل القادم من الغرب و انصراف الناس عن الدين نتيجة الفراغ القاتل، وتقصير علماء الاسلام و المفكرين منهم وما أصابهم من ضعف وخمول ...

ساعد كل ذلك على انتشار الجماعات ، وتركوا البحث الموضوعى الذى تتطلبه روح العصر، وما يتفق والمبدأ الاسلامى الأصيل. الذى ينادى بأن نحل مشاكلنا بما يتفق مع الأسس الكلية للاسلام هذه الأسس ستد خلنا الى مجال آخر و تجربة مريرة هى شغل الناس فى تلك الآونة ـ هى تطبيق الشريعة .

وانه من الخطورة أن نأخذ الأمور ارتجالا ، آخذين فى الاعتبار الزمان والمكان، والحالة الاقتصادية، بالاضافة الى صدق الرغبة فى التطبيق، والاكان مآلها الفشل . كما حدث فى ايران والسود ان عندما نفذت بعض الحدود، ارضاء فقط لبعض الجماعات الاسلامية ...

فقد قال بعض المفكرين العصريين ,,ان الحدود ليست هى كل الشريعة الاسلامية،، . فهى ليست مقصورة على قطع اليد والجلد وانما هذا جزء يسير من الشريعة .

والاسلام وضع مبادئ عامة، ومبادئ كلية من العدالة ليعيش المجتمع الانسانى كله فى حرية وعدالة ، هذه المبادئ فى جوهرها هى الاساس للدعائم الاسلامية .

فلو اردنا العمل جاهدين من أجل التطبيق المثالى للشريعة

الاسلامية، فيجب أن يكون جهادنا قائما على دراسة علمية موضوعية متأنية آخذين ظروف الزمان و المكان فى الاعتبار وان التسرع له خطره . كما يجب أن نبتعد عن المذهبية والطائفية . وليس بخاف ماحدث فى عهد عمر بن الخطاب ، وما أصاب الناس من قحط، فأوقف حدا صريحا مأمورا به لفظا ومعنى، فيجب أولا أن تحل الأمور الاقتصادية، ونكفل العيش الكريم للناس، ثم من يخطئ بعد ذلک فلا يلومن الا نفسه . اننا الآن فى عالم تسودة المجاعة فى معظم بلدان المسلمين .

ان النظرة للشكليات بدون الجوهر وروءية الحقيقة سيجعل كل أمورنا شكلية ووقتية أيضا . يجب أن تحل المشاكل الأساسية التى يعانى منها المجتمع أولا ...وانى أتحدى من يقول بأنه لايوجد ظلم واجهاض للحقوق وقهر للأنفس الكريمة .

ومعاناة ذليلة من أجل لقمة العيش ، هذه مشاكل جزرية تحل بدراسة متفهمة، قبل أن نشرع فى تطبيق الشريعة .

... على العلماء واجب وحمل ثقيل، والحكومات من أمامهم لفتح الطريق أمام أهل الذكر والمخلصين، حتى لاتستغل هذه الأمر استغلالا سيئا، وما أهونه على ذوى الأغراض لتحويل كل شئ الى جانب مصالحهم .

يجب أن لانتأثر بالأقوال المتشنجة حول الشريعة الاسلامية فان شريعتنا الغراء، لم تبتعد عنا لحظة، فهى فى دمنا وتعيش معنا، فهذه قوانيننا وعاداتنا وتقاليدنا كلها مستمدة من الشريعة الاسلامية ، وهل هناک فعلا ما يمنعنا من تطبيقها ؟

هناک بعض الأمور ... فاحيانا يأخذ الحاكم برأيه معتقدا أن هذا فيه مصلحة عليا لرعيته ، ويعتقد أن ذلک سياسة عامة، لاعلاقة لها بالدين . وهذا أمر جائز ....

ثم أمر الخلافة والرياسة، وهو من المشكوك فيه أيضا لكن مادامت الغالبية من الأمة ترضى ذلک فلا مانع مادام الحاكم لم يأمر بما يغضب الله، ولقد تولى الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ـ الخلفاء .... كل خليفة أتى بطريق تخالف الآخر ...

فلقد سئل الامام على رضى الله عنه ـ (هل تسير على مسيرة الشيخين؟ ، فيقول : أسير برأيى ....)

واليوم لمعظم المؤسسات الدولية سياسية مدنية وليست دينية بالمعنى الكامل، لكنها ترتبط مصلحتها فى النهاية بالأسس الكلية للاسلام .

ومن المستحيل فى هذا العصر أن نعود لعصر الخلفاء، وكل من يظن ذلک فهو يعيش فى وهم خرافى بعيد المنال . ربما هذا ماتعتقده بعض الجماعات الدينية المتطرفة الذين أساوءا للاسلام و شوهوه ، وكانه دين وجد للتعذيب، والتشريد، والقتل و الارهاب ، ومصادرة الآراء ... ان أمثال هوءلاء جاءوا ليخدموا المذاهب الهدامة والحاقدين على الأمة العربية و الاسلامية .

ومن العسيرأن ندعو للاسلام فى بلاد الغرب ، لأنهم أخذوا فكرة غير طيبة عن الاسلام وعن أهله، ومايقوم به بعض قادتهم فى هذا الأمر ... والذين أفسحوا المجال لاسرائيل أن تمزق الأمة الاسلامية والعربية وذلک كله تحت راية ـ الفرق الاسلامية .

(ان فى ذلک لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

المصادر

١ ـ الامارة البرة و الفاجرة ـ فهمى هويدى ـ جريدة الاهرام المصريه ١ ـ ٦ ـ ٨٦

٢ ـ اللواء الاسلامى ـ عدد ـ ٢٢٦ ـ ١٩٨٦ ـ مصر .

٣ ـ قراءات لابن تيمية .

٤ ـ التفسير و والمفسرون ـ الدكتور محمد الذهبى ـ مصر

٥ ـ هذا ديننا ـ الشيخ محمد الغزالى ـ مدير الجامعة الاسلامية ـ الجزائر

٦ ـ أقدام مسمومة تهاجم الاسلام ـ على عبدالعقيم ـ مجمع البحوث الاسلامية ، الأزهر ـ مصر ـ

٧ـ الحديث النبوى والعلم المعاصر ـ د. عبدالله سلامةنصر

****